

العدد التاسع

أيلول (سبتمبر) ١٩٥٥

السنة الثالثة

No. 9 - Septembre 1955

3ème Année

الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر
نصّر عن دار العلم للمدنيين - بيروت

ص. ب ١٠٨٥ - تلفون ٢٤٥٠٢

AL-ADAB REVUE MENSUELLE CULTURELLE
BEYROUTH - LIBAN B.P. 1085

Tél. 24502

أصحاب الامتياز
مدير النسخة: سوهيل إدريس - بروج عثمان

المدير المسؤول: بروج عثمان
رئيس التحرير: الدكتور ساهل إدريس

Rédacteur en chef : SOUHEIL IDRIS
Directeur : BAHIJ OSMAN

العاطفة، وغادرت ذلك الطور الذي كانت فيه فورة ضد استعمار عثماني أو غربي. واصبحت مدعوة منذ سنوات الى ان تحدد خطوطها وترسم معالمها رسماً واضحاً. لقد

انسانية لا أممية بقلم: عبد الله عبد الدائم

أصبحت مطالبة بتكوين مذهب عوي واضح العناصر، يقابل المذاهب الاخرى السائدة في العصر الحديث، وعلى رأسها المذهب الشيوعي، واولى مراحل النضال في سبيل الفكرة العربية هي ذلك العمل على توضيح هذه الفكرة في الاذهان ورسم خطوطها بينة جلية. أو ليست الفكرة قوة إذا ما سطعت كالنور واستقرت كالطود؟ أو ليست نهياً للغزو والظلم ان ظلت غائمة رجراجة؟ ان الصلة بين الفكرة وبين العمل لها لا يمكن ان تنعقد ما لم تنضج الفكرة نضجاً يؤهلها لان تنقلب إلى عمل. وان اكبر طاقة يمكن ان تحملها فكرة هي وضوح سماتها وملاحمها.

ولا أدل على ما تحتاج اليه الفكرة العربية من نضال فكري وعملي في سبيل تحقيقها، من انتشار طائفة من الأفكار القومية المعادية لها في العالم العربي، وعلى رأسها الأفكار التي تشكك في قيمة القومية نفسها. وان نعرض هنا للأفكار المختلفة التي تأخذ بمفهوم للقومية غير مفهوم القومية الغربية، من مثل الدعوات الاقليمية على اختلاف ألوانها وعلى اختلاف ضيقها واتساعها. وحسبنا ان نشير الى الأفكار الاخرى التي تحاول ان تطعن جوهر الفكرة القومية وتخلق الريبة حيالها. كلنا يعلم ان الفكرة القومية بوجه عام قد غدت حتملة في السنوات الاخيرة ببعض الشبهات والريب. بل لقد اصابت في بعض الاحيان ضرب من النغرة، لا سيما بعد الحربين

إن الحقيقة الأولى التي ينبغي ان ينطلق منها الحريصون على مستقبل أمتهم، العاملون على وحدتها القومية، هي ان الفكرة للعربية ما تزال معروضة لكثير من الأخطار،

وأنها، ككثير من الأفكار التي تلو كها الالسن، محفوفة بالضباب والغموض. ومن الخطأ ان نعتقد ان هذه الفكرة مبثوثة بنأ طبيعياً لا تحتاج معه الى فضل من البحث والبيان. ومن الخطأ الاكبر ان نعتقد ان الزمن وحده كاف لدعمها وقلبها الى حقيقة واقعة، وان نشق بالتطور الطبيعي ونكل اليه أمر إنفاذها.

صحيح ان الشعور العربي عميق الجذور لدى عامة الشعب، وانه يشب رغم كل الصدا العالق به، صداً السنين، ورغم كل الرياح الحائقة التي تحاول طمسه. وصحيح ان الفكرة العربية هي أكثر الفكر حياة في النفوس وغليناً في العروق. غير ان من الصحيح ايضاً ان الظروف المختلفة التي تحيط بالحياة العربية، تعمل على جعل ذلك الشعور العربي شعوراً سلبياً في معظم الاحيان، يكتفي بالاحتجاج وقلما يلجأ الى البناء، بناء الكيان العربي الموحد. بل ان ذلك الشعور، عندما يطالب في بعض الاحيان باتخاذ بعض الخطوات العملية في سبيل تحقيقه كثيراً ما يحار بل يضل، وكثيراً ما تغزوه أغراض دخيلة عليه، وتفسده مآرب مناقضة له. أفلا نرى جميعنا الاختلاف بين الشعور العربي وبين تطبيقه العملية؟ أفلا نرى الفرق الكبير بين عواطف الناس تجاه القضية العربية وبين آرائهم العملية في بعض الامور التي تعرض لهذه القضية؟ ذلك ان الفكرة العربية قد تجاوزت منذ زمن بعيد مرحلة

العالميتين الأولى والثانية. فلقد تبدت في بعض البلدان ، من مثل المانيا النازية وإيطاليا الفاشية ، فكرة مخاصمة معادية تعمل على اثاره الشقاق بين الامم ، وتدعي تفوق أمة على أمة. وبعد الجهود الكبرى التي بذلها ابنا البلاد الغربية في القرن التاسع عشر في سبيل تمتين كياناتهم القومية ، وبعد ان وحدوا بين الكيان القومي وحق الشعب في الحياة و تقرير المصير (كما فعلت الثورة الفرنسية خاصة ، وكما فعلت الحركات القومية في ايطاليا) ، انقلبت القوميات التي انشأوها حرباً عليهم وحرباً على قضية الشعوب وحقوقها في تقرير المصير وأصبحت اداة للسيطرة والغلبة .

وهكذا وجد من يدعو الى تجاوز الفكرة القومية، وخُلِق رد فعل مفرط ذهب -- ككل رد فعل -- الى الطرف المناقض فدعا الى انكار القومية وشكك في اصلها وجوهرها . وولد موقف لم يحاول ان يرى في الآفات التي وقعت فيها القوميات في بعض البلدان اخطاء لا تمس جوهر القومية ، بل جرب ان ينفي هذه القومية وان يعدها مسؤولة عن سوء تطبيقها، فعلة من يرى مساوية تطبيق النظام الديمقراطي في بلد من البلدان - كالبلد العربي - فتذهب به النقمة الى حد انكاره وهدمه . او فعلة من يرى بعض مساوية المدنية الحديثة فينادي بهجرانها والعود الى حياة بدائية لا مدنية فيها ولا حضارة .

ومن هنا رأى بعض هؤلاء ان الفكرة القومية مرحلة عابرة من مراحل تطور الانسان ينبغي مجاوزها . وقد غرر بهم نوع من المحاكاة الضالة، محاكاة بالمحاكاة كما يقول المناطقة، فخيّل اليهم أن تطور الانسانية ينبغي ان يؤدي الى الخروج من جلدة القومية ، كما ادى من قبل الى الخروج من التكتل القبلي والمزني والمدني . ولقيت هذه الصورة الحسية الجميلة هوى لدى بعض العقول ، وأصاب حظاً من الذبوع والانتشار، ككثير من التشبيهات الجميلة التي ينزلق فيها الفكر لجمالها ، كما بين الاستاذ الكبير ساطع الحصري^١. ليس من الجميل ان نتخيل تطوراً عرضانياً ضمن دائرات تنداح « كما تنداح دائرة في لجة الماء يلتمى فيه بالحجر » ؟

ان نشأة هذه الفكرة المناوئة للقومية تكشف اذن عن مواطن الضعف فيها . انها رد فعل مفرط على مساوية لا

١ العروبة أولاً ، دار العلم لللايين ، ١٩٥٥ ، ص ٥٩

تسأل عنها الفكرة القومية ، وانما تسأل عنها اساءة تطبيقها . واي فكرة لعمر ك ، مهما تعل وتسم ، غير معروضة للتردى على يد الديقانيين بها ؟ أفلا تتقلب الاديان نفسها الى شر و رذيلة حين يقبض عليها بعض ضعاف العقول والنفوس في عصور الانحطاط ، فيصحفون ويحرفون ويحتالون ؟

ان خير فاضح لفكرة من الافكار ظروف نشأتها ومحاضها . وأحسن ما يفصح عن طبيعة الرأي وقيمته البحث فيه بحثاً تكوينياً Génétique كما يقول علماء النفس والاجتماع ، اي الصعود الى عوامل خلقه وانعقاده .

على اننا اذا تركنا امر النشأة جانباً ، استطعنا ان نواجه هذه الفكرة المناوئة للقومية بطائفة من الوقائع :

اولاً - فمن الملاحظ اولاً ، كما يقول دومناك Domenach في مقال له عن القوميات^١ . ان القوميات في تكاثر وازدياد رغم كل شيء ، وان الشعوب الحديثة ، رغم ما يقال لها عن مساوية القومية المزعومة ، لا تجد سوى القومية ملجأ . فلقد شهدت السنوات الاخيرة نشوء قوميات عديدة جديدة^٢ رغم أن منطق الامور الظاهرية كان يقضي بالعزوف عن إنشاء مثل هذه القوميات وبتكوين وحدة عالمية . فالرأسمالية الحديثة بدت عاملاً مساعداً على تقارب الامم ، والادوات الفنية الصناعية التي اوجدتها مدعاة الى مثل هذا التقارب . ومع ذلك يرينا الواقع ان هذه الرأسمالية لم تخلق محاولات للخروج من الأطر القومية ، وانما قوت تلك الاطر ، وخلقت الحاجة اليها . اذ شعر الانسان الحديث ان لا عاصم له من الخواف التي أثارها هذه الرأسمالية الحديثة بآلاتها الضخمة الساحقة ووسائلها المدمرة واسواقها الاقتصادية الغازية ، الا بالالتجاء الى الاطار القومي . فالاطار القومي بدأ ، كما يقول «دومناك» ايضاً ، ملجأ مفصلاً على قد الشخص . وضمن هذا الاطار وحده شعر الانسان بقدرته على محاربة القوى الاستعمارية والتوسعية ومحاولات السيطرة المادية والعقائدية . هكذا لم تجد بوغوسلافيا مثلاً رداً يقمها اخطار روسيا سوى العود الى بنابيع حياتها القومية والاهابة بكرامتها القومية ومفاخرها . ثم ان هذه الرأسمالية الحديثة نشرت الآلة على نطاق واسع حتى كاد كل شيء ينقلب الى آلة والى عمل آلي رتيب . وانتقل

١ مجلة Esprit عدد آذار ١٩٥٥ ، ص ٣٣٧ - ٣٥٤

٢ وما مثال سرائيل عنا ببعيد

انتظروا قريباً

الفنون

عدد ممتاز من «الأداب»

يضمّ دراسات مستفيضة عن الرسم والنحت
والموسيقى والتمثيل والسيتا في البلاد العربية
والغرب .

اتساع الحياة في أسر . والحياة القومية محصلة الثمام الحياة في مدن . أما الحياة الامية فليست نتيجة لاتساع الحياة القومية . إنها نقيضها . اننا نصل اليها بقتل الفكرة القومية لا بتوسيعها . اننا نبلغها - إن صح اننا بالغوها يوماً - على انقاض القومية واسلائها .

والمزلق الذي يقع فيه اولئك الذين يرون في الامية اتساعاً للقومية هو انهم يخلطون بين مفهوم الامية ومفهوم الانسانية . فالفكرة الانسانية هي حقاً اتساع للفكرة القومية ونتيجة لنضجها . والقول بجمع انساني متأخ تسود بين كتله القومية روابط التفاهم هو من اسس الفكرة القومية الصحيحة ، وهو الاساس الذي قامت عليه القوميات في بدايتها . كذلك من أهم أسس الانسانية ان نعمل على انعاش العنصر الانساني لدى كل فرد وان نوصله الى اقصى ما يمكن ان يعطيه كإنسان . وانعاش العنصر الانساني يتم في الاطار القومي كما بينا . ففيه يعطي الانسان خيراً ما عنده ويترك معدنه ويستخرج كامل امكانياته . فالقومية اذن تلتقي مع الانسانية ، والانسانية الحقة هي امتداد للقومية الحقة وفي هذا المعنى يقول « جوريس » Jaurès : « ان قليلاً من الأمية يبعدنا عن الوطن

هذا الطابع الآلي الرتيب الى حياة الشعوب ، فكاد كل شيء على الكرة الارضية يأخذ شكلاً واحداً ملاً ونظماً مكروراً . وهنا ظهرت الحاجة الى الطابع القومي الفريد ، وبدا الحين لدى كل شعب الى ما هو خاص به ، الى لغته وفكره وتقاليده واساطيره واشعاره وأغانيه وازيائه ... حتى ليصح ان نقول ان انتعاش الافكار القومية لدى كثير من الشعوب في ايامنا هو - بوجه من الوجوه - « انتقام ما هو حي بما هو آلي ميكانيكي » . وهكذا أثبتت الوقائع المجرّبة حقيقة ينبغي ان تعود دوماً الى الاذهان وهي ان الاطار القومي هو اطار التنفس الطبيعي للإنسان ، وان الانسان لا يزكو الا في تربته القومية ، ولا يجد سبيلاً للنضال ضد الآفات الاجتماعية والاطار المختلفة الا ضمن جوه القومي . وكل اطار آخر اطار خانق له ان كان ضيقاً ، تائه فيه ان كان فضفاضاً واسعاً .

أفلم تلجأ الشيوعية نفسها مضطرة الى الفكرة القومية في كثير من البلدان التابعة لها ؟ ألم تعمل تحت ضغط الواقع على احياء الحضارات القومية والثقافات الوطنية في هذه البلدان ؟ بل ان روسيا نفسها ، بعد انقضاء ثلاثين عاماً على ثورتها الشيوعية ، قد مرت بأزمة قومية ، فعادت تبحث جاهدة عن تقاليد شعبها ونحبي أمجادها ، وتدعي التفوق في مجال الاكتشاف والاختراع ، وتنازع القوميات الاخرى بعض الأبطال والمكتشفين لتنسبهم اليها . وعبثاً يحاول « ستالين » ان يرفأ هذا الرتق وان يثبت انسجامه مع منطق الشيوعية الاصيل حين يدعو الى حضارة « قومية في شكلها ، اشتراكية في مضمونها » . فالقومية اما ان تكون قومية في الشكل والمضمون واما الا تكون قومية ألبتة . ومثل هذا التفريق بين شكل القومية ومضمونها تفريق صناعي لفظي ، وأصح منه ان يقال : ان الشيء الملائم لمنطق الشعوب وحياتها ان ندعو الى اشتراكية قومية في مضمونها وشكلها .

ثانياً - ثم ان القومية ، كما نشاهد في الواقع ، مختلفة عن الفكرة الامية في الطبيعة والنوع لا في الدرجة والسكم ، ومن غير الصحيح ان نعتبر الامية امتداداً واتساعاً للفكرة القومية . ان الحياة في قبيلة واحدة تنجم حقاً عن اتساع الحياة في عشائر وبتون وافخاذ . والحياة في سبيل مدينة واحدة نتيجة

والقومية وان كثيراً منها يردنا اليهما »

ثالثاً - ومعنى هذا إذن ان الانسان الحديث مدعو الى ان ينقل الفكرة القومية الى مقام أعلى وأسمى ، بدلاً من ان يفكر في دنياها . انه مدعو الى قومية لا تعني ان يوجد الانسان لنفسه ضد غيره ، بل تعني ان يوجد لنفسه وفي سبيل غيره . فالانسان لا يمكن ان يوجد لنفسه إن لم يوجد لغيره . والقومية لا يمكن ان تقوم لها قائمة بالتالي ان لم تكن انسانية في جوهرها وصميمها . والانسانية بدورها لا يمكن ان تقرب منها إلا بانعاش الفكرة القومية .

ان القومية موطن حضارة إنسانية وموئل شعور حي خصيب لا يعني عنه اي شعور آخر . والرابطة العقائدية نفسها لا يمكن ان تحل محل هذا الشعور القومي ، ولا يمكن ان تكون خصيبة في الواقع ما لم يوحد بينها وبين العاطفة القومية

صدر عن دار المكشوف

رسالة

في

الرئاسة والرئيس

بقلم : الزعيم اندري مونتانيون

تعريب

لويس الحاج

تطلب من جميع المكتبات

الثنى : ليرتان لبنانيتان

منشورات دار المكشوف - بيروت

ص . ب ٥٨١

وما لم تصبح جزءاً منها . ليست العقيدة الشيوعية في روسيا عقيدة قومية في اعماقها ، نبتت من طبيعة روسيا وعبرت عن رغبة القومية الروسية في التوسع ؟

وهكذا نرى في خاتمة المطاف خطأ تلك النزعات التي تحاول ان تنتشر في بلدنا العربي ، مجربة ان تشكك في قيمة الفكرة القومية . فهي اولاً تنقل الى بلادنا رد فعل طبيعياً - وان يك مفرطاً كما بينا - وقع في الدول الغربية نتيجة الشكل الذي اتخذته تطبيق الفكرة القومية هناك . ونقل رد فعل كهذا خطأ من حيث الاساس ، ما دامت بلادنا لم تعان التجربة نفسها ، بل ما دامت الفكرة القومية عندنا ما تزال رغبة في تكوين امة حديثة مستقلة ، لا في منازعة الآخرين وخصامهم . ومن التغيرير بأمة تعمل على إنشاء كيانها وبناء ذاتها ان نبين لها اخطاء القومية مستندين الى ما وقع في بلادنا لم تأخذ القومية فيها شكل بناء للكيان ودفاع عن الذات ، بل اخذت شكل تعدد وغلبة . ومثل هذه الدعاوة اسوأ أفيون يمكن ان يقدم لامة ناشئة كأمتنا .

ثم ان مثل هذه النزعات ثانياً تخطيء في فهم الواقع العربي نفسه حين تزعم ان العرب يمر في مرحلة هي مرحلة العودة الى القوميات ، في حين انه يمر في مرحلة هي مرحلة العودة الى القوميات ، مع الحفاظ على العاطفة الانسانية وتحميل الشعور القومي الاخوة والتساند .

وهي بعد ذلك تخلط بين الامية والانسانية فتدافع عن الاولى بلغة الثانية ، وتزعم ان الاخذ بالفكرة القومية يعني الحرب على الانسانية ، وان الاخذ بالفكرة الامية يعني تحقيق الانسانية . وفي هذه المغالطة يكمن جوهر الاضطراب الذي نال فكرة القومية العربية في بلادنا . واول ما ينبغي ان يتضح في الاذهان هو ان الامية تبعد عن الانسانية اذ تبعد عن القومية ، وان القومية تحقق الانسانية الحقة حين تستخرج أركى ما عند الانسان من قوى ضمن اطار معقول منه ، وملجأ مفصل على قدمه ، ودائرة محملة بالشحنة الروحية اللازمة . « وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » .

عبدالله عبدالدائم

«دمشق»